قراءة سردية سيميائية في رواية "الممرضة الثائرة" لمحمد صلاح الدين.

A semiotic narrative reading in “The revolutionary nurse” novel,by Mohammas Salah-Adin

حفيدي أحمد*

جامعة تامنغست،

(الجزائر)

Ahmed.hafidi@univ-tam.dz

حينوني الزهراء

جامعة غرداية،

(الجزائر)

Ehinounizohra@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/01/02 تاريخ القبول: 2023/05/17 النشر:2023/05/31

ملخص:

يبرز هذا المقال جملة من الأسئلة عن المستويات السردية وكيفية تشكلها في الخطاب السردي، وهذا بتناول ثلاث مستويات، مستوى الظاهر النصي؛ والمستوى السّطحي والمستوى العميق، وفق مقاربة سيميائية لخطاب" الممرضة الثائرة" لمحمد صلاح الدين، هذا الخطاب الذي يعتبره الروائي ملحمة من ملاحم الجزائر، يسجل كفاحها البطولي الذي خاضه الشعب الجزائري من أجل استرداد استقلاله وسيادته الوطنية؛ وتاريخه الثوري المجيد المليء بالبطولات، ومن خلال هذه المستويات الخطابية السّردية توصلنا إلى أن البناء الهندسي للسّرد في الممرضة الثائرة هو بناء للمعنى من السطح إلى العمق، معبرا عن التضحية البطولية لثوار الثورة التحريرية الجزائرية .

الكلمات المفتاحية: (سردية)؛ (سيميائية)؛ (محمد)؛ (صلاح)؛ (ممرضة)؛

Abstract

This article highlights a number of questions about the narrative levels and how they are formed in the narrative discourse, this is done by addressing three levels, the level of the apparent text; The superficial level and the deep level, adopting a semiotic approach to the speech of the “rebellious nurse” by Mohamed Salah El-Din, this speech, which the novelist considers as one of the epics of Algeria, records the heroic struggle of the Algerian people to regain their independence and national sovereignty; And his glorious revolutionary history full of heroism, and through these narrative discourse levels we concluded that the structure of the narrative in the ‘rebellious nurse’ is a construction of meaning from the surface to the depth, expressing the heroic sacrifice of the revolutionaries of the Algerian Liberation Revolution.

KeyWords: Narrative ; Semiotic ; Mohammed ; Salah ; Nurse ;

*المؤلف المرسل حفيدي أحمد Ahmed.hafidi@univ-tam.dz

المقدمة:

حظي السّرد –كعلم– بدراسات ومناهج مختلفة؛ بحثًا عن المعنى وعن كيفية تشكله داخل الخطاب الروائي، والبحث عن تلك العلاقة التي تجمع بين جانب اللغة والجانب الفني فيه، وهذا لكونه متجدد يقبل جملة من القراءات والتأويلات، هذا الخطاب المنتقى الذي يمثل الصحراء الجزائرية؛ منطقة الواحات؛ وبالتحديد في فترة شح فيها الإبداع الفني، ليعبر عن الثورة التحريرية بقوتها وبطولة رجالها بأسلوب فني أقرب فيه للسرد الواقعي والمتعلق بالتاريخ، مما يجعل الرواية منفتحة على قراءات عدة تدعو للتخيل الفني، وتفرض متعة التواصل على الرغم من تاريخ توقيعها 04 أفريل 1966م.

فالإشكال المطروح يتمثل في هذه الدراسة يتمثل في: إلى أيّ مدى وفق السّارد في خلق مستوياته للتعبير عن بطولات الثورة التحريرية؟ وهل مستويات الخطاب تكشف عن ذلك؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية لجأنا للمقاربة السيميائية، والتي وضعنا من خلالها الفرضيات الآتية، ما الآليات السيميائية المتبعة في توليد المعنى؟ وكيف يتشكل هذا المعنى من خلال اللغة داخل الخطاب؟ وبما أن دراستنا محصورة عند ما يتطلبه الخطاب في تحليله تحليلًا سيميائيا هو مقاربته عبر المستويات الثلاث مستوى الظاهر النصي، وتجلى في دراسة مادته الملموسة "عتبات النص الموازي، والإحاطة بسجلاته الأسلوبية من تقطيع طبوغرافي، وفضاء الأساليب السّردية، والمستوى السّطحي الذي يعنى بدراسة البرامج السّردية والمسارات التصورية، والمستوى العميق الذي يهتم بدراسة التشاكل واستقراء القيم الدلالية، والسّيميولوجية وقوفا عند المربع السّيميائي.

I. المستوى الظاهر النصي :

يتطلب تحليل الخطاب السردي سيميائيا لمستواه الظاهر النصي، دراسته من أجل معرفة كيفية تشكل معناه، والكشف عن تلك الدلالات الكامنة وراءه من حيث مادته الملموسة، ومن حيث الإحاطة بسجلاته الأسلوبية، وهذا يقتضي الوقوف عند عتبات النص والأساليب السردية التي جاء بها.

1. عتبات النص:

من الضروري لفهم أي نص أو خطاب روائي معرفة ذلك التفاعل النصي الحاصل بين أجزائه، ولفهمه لابد من فهم تلك العتبات المشكلة له من بيانات النشر المعروفة والتي تشكل عالما سيميائيا إشاريا يوحي إلى المتن من جهة، ويدفع القارئ للاهتمام به وجذبه وتوجيهه؛ لذا فإن "خطاب المقدمات يعد جزء من نظام معرفي عام هو ما يطلق عليه في الاصطلاح الفرنسي -paratexte– وتعني مجموع النصوص التي تحيط بمتن الكتاب من جميع

جوانبه حواش هوامش وعناوين رئيسة وأخرى فرعية وفهارس ومقدمات وخاتمة وغيرها من بيانات النشر المعروفة التي تشكل في الوقت ذاته نظاما إشاريا ومعرفيا لا يقل أهمية عن المتن الذي يحفظه أو يحيط به، بل إنه يلعب دورًا هاما في نوعية القراءة وتوجيهها " (عبد الرزاق بلال ،2000، ص16)

ولما كانت العتبة لها دورا كبيرا في توجيه القراءة عند المتلقي، وكان النص كله بناء" لا يمكننا الانتقال من فضاءاته المختلفة دون المرور من عتباته، ومن لا ينتبه إلى طبيعة ونوعية العتبات يتعثر بها ومن لا يحسن التمييز بينهما، من حيث أنواعها وطبائعها ووظائفها يخطئ أبواب النص" (عبد الحق بالعابد ،2008 ،ص15) ولهذا كان لزاما علينا أن نقف عندها في رواية الممرضة الثائرة لمحمد صلاح الدين، فعلى مستوى البنية التركيبية فإن العنوان يتخذ شكل وحدة معجمية تتكون من أيقونات عبارة عن حروف تيبوغرافية غامقة، مثبتة وسط صفحة الغلاف، تحتل حيزا نصيا بالمقارنة مع اسم الروائي الذي كتب أعلى الغلاف من الجهة اليسرى بخط أقل خشونة، بأيقونة ذات حرف عربي بالطريقة العربية بالبدء بالاسم محمد ثم الكنية/اللقب صلاح الدين، أما اسم دار النشر فلم يسجل على الواجهة وإنما سجل في أسفل آخر الواجهة الثانية.

هذه الأيقونة التي تمتاز بالبروز والتمييز والتي كتبت باللون الأسود الغامق، وبالخط العربي خط الثلث لاشك أنها تدل على مقصدية الروائي في إثارة اهتمام المتلقي من خلال اللون البني الفاتح الطاغي على الغلاف الخارجي.

أما من حيث المستوى التركيبي فإن هذه الوحدة المعجمية المكونة للعنوان تشكل جملة اسمية بركنيها المبتدأ وهو الاسم المعرف الدال على المؤنث الممرضة، والركن الثاني الكاشف عن طبيعته وحالته هو الخبر الثائرة مشكلا علاقة الإسناد الحاصل في الجملة الاسمية. فالوضعية التركيبية للعنوان تجعل من دلالتها أنها أساسية بالنسبة للمتن الروائي لأنها " تمثل بصفتها عنوانا، نواة الاستهلال التي سيتولد منها خطاب الرواية " (عبد المجيد نوسي،2002 ،ص113) وهذا ما يجعلها نواة أساسية ترتبط بها كل الدلالات الناتجة عن النص الروائي،لأن الخطاب الواصف"له القدرة على تمكين المبدع من مراجعة الملفوظ اللغوي لديه حتى بعد إنتاجه، وإعادة النظر فيما قيل وما سيقال بالاعتماد على موجات الخطاب" (حبيب بوهرور ،2015 ،ص1059) .

أما العنوان من خلال بنيته الدلالية وعلاقته بالسياق السوسيو ثقافي فهو يحيل إلى العمل الإنساني الذي يقوم به الممرض في تقديمه الخدمات الطبية وهو عمل إيجابي، جاء معرفا للدلالة على الخصوص لا العموم، في صيغة مؤنثة لها دلالتها من حيث القيام بهذا العمل أسند إليها لفظ الثورة بما يحمله من دلالات داخل الخطاب خاصة وأن هذا الخطاب يروي عن فترة استعمارية، فالممرضة ثائرة على قيم مجتمعها الخاطئة، ثائرة على الظلم، ثائرة على

وضعها الاجتماعي الذي حرمها ممن تحب؛ هذه المقاوماتية كلها أسندت للمرأة الممرضة لتكشف عن دلالاتها وتوضح المعنى.

وقد أراد جرار جينيت أن يوسع دائرة العتبات إلى أشياء مقاربة للنص لأنه يرى أن " النص/الكتاب قلما يظهر عاريا من مصاحبات لفظية أو أيقونية تعمل على إنتاج معناه ودلالته،كاسم الكاتب والعناوين والإهداء ..، وبمساءلتة لهذه المنطقة المحيطة بالنص والدائرة بفلكه، استطاع أن يضع لمصطلح التناص (paratexte)أي ذلك النص الموازي لنصه الأصلي" (عبد الحق بالعابد ،2008 ،ص28).

وباعتبار أن المقدمة هي التي تفضي بنا إلى عالم النص/الكتاب، "وهي إحدى عتبات النص التي تشد انتباهنا، إنها قراءة يمارسها المؤلف على نصه ليوجه القاري إلى استراتيجيات الاستقبال لديه" (نعيمة سعدية ،2016 ،ص43) فإننا نقر بأنها جاءت في كلمة استهلالية ضمنها الروائي سعادته بالقارئ الكريم باعتبار الملقى إليه الخطاب، والذي سيقرأ هذا العمل الروائي، والمختصر في كونه ملحمة من ملاحم الكفاح البطولي الذي خاضه شعبنا من أجل تحقيق استقلاله الوطني، وسيادته وتاريخ ثورتنا المجيد المليء بالبطولات، وبالرغم من كونها هي من وحي خيال الكاتب الذي استمده من الواقع الثوري؛ إلا أنّها تبقى صورة من صور كفاح الشعب الجزائري العتيد، بأيقوناتها وتراكيبها المعجمية والدلالية.

هذه الكلمة الموجزة المعبرة عما جاء في المتن الروائي قد ختمها بتوقيع بين فيه الإطار المكاني ألا وهو "عين صالح" (الواحات) وتاريخ التوقيع يدل على الإطار الزماني الذي يأخذ بعدين بعد الدرجة الصفر لبداية العمل، أو بعد النهاية من إتمام هذا العمل وهو تاريخ الرابع من شهر أفريل لأربع سنوات بعد الاستقلال 1966م.

كما نجد أيقونة معجمية أخرى ممثلة في عتبة الإهداء وهي قبلية للكلمة جاءت وسط بياض، كتب بخط غامق بخط عربي خط النسخ، بكلمات وجيزات، الإهداء "أهدي هاته القصة المستمدة من صميم حياتنا الاجتماعية إلى روح المرحومة والدتي تحية إكبار واعترافا بالجميل" (صلاح الدين محمد،1966،ص02) فهو يهديه إلى روح المرحومة والدته الكريمة، وهي تحية إكبار واعتراف بالجميل، وقعها باسمه.

2. التقطيع النصي :

تعد سيميائية قريماس بعد التطور الذي حصل في سيميائية تحليل الخطاب السردي نقلة نوعية من حيث النتائج التي قدمتها للبحث في مجال السيميائية، وهذا بعد دراسته للنموذج الوظائفي لبلادمير بروب والذي بنى عليه رسما سرديا قائما على ثلاث مهمات تؤطر المسار السّردي للبطل وهي: المهمة التأهلية، والمهمة الحاسمة، والمهمة التمجيدية لذا فإن"تحليل القصة يستند بصفة آنية ومنسقة إلى تحليل جميع مظاهر الخطاب ولعل المفيد هنا الإشارة

إلى تنوع المواد اللغوية حسب الوحدات القصصية المعبر عنها فالتمجيد له لغته ومفرداته وتراكيبه وصيغة الخاصة والاختبار الترشيحي لا يختلف عن الاختبار الحاسم من الناحية الوظائفية فحسب وإنما من الناحية اللغوية والأسلوبية أيضا" (سمير المرزوقي،جميل شاكر ،د.س.ط،ص115)

وانطلاقا من هذا الرسم السّردي يمكننا أن نضع رسما لمسار البطل حماد حسب هذه المهمات ووفق ما جاء به نص الرواية.

أ.المهمة التأهلية : والتي تبدأ من بداية ميلاد البطل حماد مرورا بدراسته في المدرسة الفرنسية بالمنيعة، ثم التحاقه بالليسي بمدينة مليانة حيث أتم دراسته، ثم التقائه برحال الرّحل الثوري الذي أقنعه من خلال حديثه معه بأن" الاستعمار يريد أن يجعل منكم عملاء وأذناب ولهذا يجب أن يحجب عن أعينكم الحقيقة ولكن هيهات أنه لن يستطيع أن يفعل ذلك وأن أعماله الشيطانية ستذهب أدراج الرّياح وسنتوحد رغم أنفه ونطرده من بلادنا" (صلاح الدين محمد،1966،ص14)

هذه المرحلة تعد المهمة التمهيدية للبطل حماد ممثلا في الوضع الابتدائي بالنسبة للقصة.

ب.المهمة الحاسمة :تبدأ هذه المهمة من إبلاغ حماد برسالة من الكموندار قائد الولاية السادسة ليقرر تعيينه على مستوى الناحية الخامسة ناحية لمنيعة تحت اسم السّي موسى ومن هنا يحسم أمره" كان الظلام يحجب كل شيء في تلك الليلة الممطرة والتي غادرت فيها سيارة بائع الخضر المخبزة المعروفة بمخبزة الجوهرة لصاحبها سي يوسف لمنيعة لقد كان هذا الأخير مكلفا بنقل حماد من مدينة لمنيعة إلى مدينة غرداية وهو في طريقه إلى القيادة " (صلاح الدين محمد ،1966 ،ص31) وبلغ السلطات الفرنسية والجيش الفرنسي نبأ فرار حماد والتحاقه برجال الثورة فجن جنونهم وقرروا الانتقام منه، وتبلغ هذه المرحلة إلى غاية خوض معركة واد الدارين التي أجاب فيها نجدة أخيه سي حسن .

ج.المهمة التمجيدية : والتي تمتزج فيها مهمة حماد مع مهمة الممرضة صوفي والتي بلغها وهي في مدينة جنيف نبأ وقف إطلاق النار ...حيث كانت تقيم، وعادت مع أول طائرة مع لسيان " الذي أخبرها عزمه في العودة إلى الجزائر وذلك نزولا عند طلب رجال الجبهة الذين كان يعمل معهم ...أما صوفي فقد ركبت أول طائرة لتعود إلى الجزائر لتعود إلى حماد " (صلاح الدين محمد ،1966 ،ص67) إنها النهاية الممجدة لكلا البطلين حماد وصوفي.

II. المستوى السطحي :

إن البنية السطحية في الخطاب الروائي تتكون من مستويين هما: المستوى السّردي، والمستوى الخطابي، فالأول يهتم بدراسة البرامج السردية والحالات والتحولات والجهات والصيغ في الأقوال السّردية الناتجة عن عملية الإنجاز القولي مما يجعل العلاقات التركيبية للوحدات المعجمية تتحكم فيه، في حين المستوى الثاني يهتم بالتحليل المعجمي والدلالي والموضوعاتي الناتج عن تلك المسارات التصورية العلائقية المبنية على قاعدة الاختلافات وتراكم الوحدات وفق علاقات الوحدة والتشابه والترادف .

ووفق منطق السّرد تقع الاختلافات بين الوضعيات، فإذا وقفنا على شخصية حامد (سي موسى) في رواية الممرضة الثائرة والذي" لم تمض مدة على عقد القران حتى رزق العم مبارك مولودا سعيد قرت به عينه وأسماه حامداً على اسم والده الذي هو أيضا من أولياء الله " (صلاح الدين محمد ،1966 ،ص11)

وشخصية حامد تمثل الفاعل في وضعيته الأولية باعتبار أن البرنامج السّردي أساسه التحولات من حال إلى آخر فيكون بذلك حامد في حالة انفصال عن موضوع القيمة المتمثل في الثورة وحب التحرر، لأنه تربى في بيت الفرنسي "جرافيه" حيث كان يعمل أبوه العم مبارك كبستاني "وبدأ حامد ينضج وما أن بلغ الثالثة عشر حتى بات كأنجب التلاميذ النجباء ومرات عديدة نال فيها جائزة تقدير من يد الحاكم العسكري تقديرا لمجهوده واجتهاده، وكانت آمال السلطة العسكرية فيه كبيرة وخاصة فهي في حاجة إلى إطارات من الأهالي لأن تجعل منهم رسل للفرنسية والاندماج رغم أنّهم كثيرا ما خيبوا آمالها" (صلاح الدين محمد ،1966 ،ص12)

فمن هذه الوضعية التي يبدأ منها تشكل الفاعل ورسم تلك العلاقة التي تربطه بموضوع القيمة تطرأ جملة من التحولات وفق أفعال تحويلية تجعل الفاعل في وضعية مخالفة لوضعيته الأولى، وبهذا تتشكل البرامج السردية المبنية على ملفوظات الفعل التي تحكم ملفوظات الحالة والتي يمارسها فاعل الفعل حماد وهذا إثر تدخل حدث له وهو "يتجول داخل المحل وإذا به يرى في مكتب البزار شابا في منتهى الصحة والجمال أشقر اللون يحمل نظارة طبية وأعاد النظر إليه مرة أخرى لاشك أنه يكون رآه في مكان ما. ولاحظ الشاب أن حامد يطيل النظر إليه ونظر إليه هو الآخر وعرفه. إنّه أحد الطلبة الجنوبيين السّمر والذين قدموا هذه الأيام ليزاولوا تعليمهم بالليسي...فما كان من الشاب الأشقر إلا أن تقدم نحو حامد والابتسامة لا تفارق شفتيه وحياه قائلاً أهلاً وسهلاً تفضل ألست من الطلبة الجنوبيين الذين قدموا في هذه الأيام ...حامد محييا نعم أنا أحدهم ودعاه الشاب لأن يتفضل بالدخول للمكتب بعد أن قدّم له نفسه أنا اسمي بن جباري رحال طالب." (صلاح الدين محمد ،1966 ،ص14)

هنا وبعد هذا اللقاء حدث فعل التغيير، حدث دلّ على الانتقال من علاقة إلى أخرى انتهى إلى حالة اتصالية بعدما كانت انفصالية بموضوع القيمة، لقد استطاع الطالب رحال أن يغير ذهنيته التي أرد المستعمر أن تبقى حكرا له، لقد أدرك حامد بعد الحوار الذي دار بينه وبين الطالب رحال شملته كلمته وهو يودع رحال"ودع حامد صديقه رحالاً شاكراً له حسن صنعه ثم أكد له تفهمه لمبادئه الوطنية قائلاً:اسمع يا أخي رحال أقول لك الصّح إنني لا أفهم الكثير مما قلت لي استعمار استقلال الخ...لكن الشيء الذي كنت أفهمه منذ أن أصبحت أفهم هي الكراهية الشديدة نحو الأوروبيين لأني كرهت فيهم احتقارهم لنا واستغلالهم لكل خيراتنا لقد سلبونا كل ما نملك ليتمتعوا به ولم يتركوا لنا إلا ما نسد به الرمق لقد فهمت ذلك قبل أن أراك وأما الآن ومنذ التقائي بك فقد بدأت أفهم كل شيء وأن الحقيقة كانت غائبة عن ذهني" (صلاح الدين محمد ،1966 ،ص14)

من هذه اللحظة وبهذه المناسبة التي نتجت عنها علاقة الصداقة التي جمعت بين حامد ورحال زالت تلك الغشاوة عن أعين حامد، كان أول ما بلغه عن رحال بعد أن افترقا أنّه انضم لصفوف الثورة بعد انطلاق أول رصاصة في الفاتح من شهر نوفمبر، وهاهو يرسل له خطابا أبلغه فيه اعتذاره عن هذا الالتحاق بالجبل المفاجئ، ثم وصف له تلك المعركة التي خاضها ضد المستعمر الفرنسي والتي تمكن فيها جيشنا الباسل من إبادة فرقة الكمندو من المظليين ذوي القبعات الحمراء مودعا إيّاه في الأخير بموعد اللقاء إلي يوم الحرية والاستقلال.

جراء هذا الخطاب أصبح حامد ممتلكا لموضوع القيمة فاختلفت الحالة باختلاف الفعل، فهو الآن ثائر رافض للمستعمر طالبا للحرية والانطلاق، وانطلاقا من تحديد الحالات والتحولات في هذا النموذج السردي لحامد اتصالا وانفصالا علينا تحديد العلاقة بالعوامل والفواعل ورصد البرنامج السردي من حيث التحفيز، الكفاءة، الإنجاز، التقويم، مع دراسة منطق الجهات المتمثل في رغبة الفعل وإرادة الفعل وواجب الفعل والقدرة على الفعل.

إن منطق الجهات الناتج عن هذه التحولات الناتجة عن الحالات التي يمارسها فاعل الفعل تكون جهات مضمرة، هدفها تأسيس الفاعل وهما إرادة الفعل وواجب الفعل، وغايتها تحقيق الكفاءة عند الفاعل، فحامد ابن العم مبارك الفلاح، والذي تربى في ضياع المنيعة، في بيت السيد الفرنسي جيرافيه، كان سببا ودافعا له كي يدخل المدرسة الفرنسية ويزاول دراسته بها وقد "اختارت الإدارة مجموعة من الشبان الناجحين النجباء وكان من بينهم حماد ابن العم مبارك بستاني المسيو جيرافيه وأعطتهم منحا ليتابعوا دراستهم في ليسي مدينة مليانة ولم تنس الإدارة والسلطة أن تكرر نصائحها ومطالبها إلى إدارة الليسي طالبة منهم إعطائهم نظاما داخليا خاصا لهؤلاء الشبان الجنوبيين وحتى لا تنتقل إليهم عدوى الوطنية" (صلاح الدين محمد ،1966 ،ص13) ومن هنا يظهر المحفز الذي يحث الفاعل على القيام بالفعل والذي كان ممثلا في شخص رحال الذي التقى بحماد في فترة الدراسة بالليسي، وهو

من عرّفه بالثورة حتى بعد اندلاع الثورة والتحاق هذا الأخير بها، أرسل إليه برسالة يبلغه بها ببسالته وما أنجزه في تلك المعركة التي خاضها ضد المستعمر الفرنسي، ومن هنا يتأسس لنا الفاعل الأول والممثل في شخص حماد، أما الممرضة صوفي فلها في البرنامج السردي ضرب آخر.

أما الجهات المحينة والتي تدل على تأهل الفاعل أو ما يسمى بالمرحلة التأهلية بمعرفة الفعل، وقدرة الفعل بعد امتلاك الفاعل للجهات المضمرة، يتأهل حماد عبر الخطاب الروائي والذي يتم بعد إنهائه للدراسة بالليسي ورغبة جيرافيه الفرنسي بتوظيفه كمدير لأعماله وهي محاولة باءت بالفشل إلى أن "جاءت والدته لتخبره بزائر يريده، واستدركت والدته قائلة:إني أخاف عليك يا بني من أصحاب الجبل، هذا الرجل من رجال البدو يبدو عليه الخوف والاضطراب وبدون أن يرد عليها خرج ليرى الرجل؛ وما إن وقعت عينا الرجل عليه حتى سلمه رسالة صغيرة ملفوفة في خرقة سوداء صغيرة وفتح الخرقة وشرع يقرأ الرسالة إنّها جاءته من عند الكمندان قائد الولاية السّادسة ولاية الصحراء، يدعوه فيها للقدوم إلى مقر القيادة بجبل بوكحيل لتسلم قرارا بمأموريته وليعين قائدا برتبة ملازم تحت اسم (السي موسى) وذلك على منطقة المنيعة وهي المنطقة الخامسة وأخبر رجل الاتصال **حماد** أنّه يعود إليه في الساعة التاسعة مساء لترحيله إلى القيادة مع جماعة من الإخوان." (صلاح الدين محمد ،1966 ،ص31)

ومن خلال هذا المقطع الذي يبين تأسيس الفاعل عن طريق معرفة الفعل وقدرة الفعل فحماد أصبح عارفاً مدركاً للمهمة التي تنتظره والتي هو قادر على أدائها. ومن هنا نصل إلى التقويم والصيغة وهما يمثلان ما يقوم به الفاعل (عمل الفاعل) وفقا للعقد المبرم مع المرسل فتتخلى لنا المسارات التصويرية فالبرنامج السّردي الأول والذي يمثله حماد في علاقته مع المستعمر ومدرسة المستعمر وإدارة المستعمر ليعود في الأخير ليقف إلى جانب شعبه ووطنه، أما البرنامج السّردي الثاني فيتمثله المستعمر في إحباط عزيمة حماد، وصوفي لدعمهما الثورة التحريرية.

III . المستوى العميق:

إذا كان دور البنية السطحية في التحليل السّيميائي يهدف إلى إبراز تلك التحولات في البرامج السّردية فإن البنية العميقة تهدف إلى الاهتمام بالمعاني السّيميولوجية والدلالة السياقية والنووية أي التنقل من التنظيم الذي يتحكم في هذه التحولات والاختلافات إلى المنطق العميق الذي يحكم الدّورة الدلالية "(رشيد بن مالك ،2006، ص133)

فالباحث عن هذه البنى العميقة داخل النصوص/الخطابات فهو لا يبحث "عن أشياء معطاة بدون وسائط، فغايتنا هي ما لا يقوله النص، أو ما يقوله في غفلة من الكلمات ونواياها الصريحة "(أمبرتو إيكو ،2009 ص11) لأن النص فيه ما تقوله اللغة الملفوظة، وفيه ما يدرك عن طريق العقل أي ما لا يلاحظ، وهذا عن طريق إدراك تلك الخلفيات القائمة بين عناصر النص والتي تجمع بينهما علاقة بشكل أو بآخر من أجل توليد المعنى.

فعند المقابلة بين بنيات السطح وبنيات العمق في الهندسة السيميائية فإننا نجد أن "تقابل البنيات العميقة عادة في السّيمياء، بنيات السّطح (أو البنيات السّطحية) فإذا ما كانت هذه الأخيرة تعود كما يقال إلى المجال القابل للملاحظة، فإن الأولى تعتبر مقدرة في الملفوظ،يلاحظ مع ذلك بأن مصطلح العمق حامل لإيحاءات إيديولوجية بفعل إحالته إلى سيكولوجية الأعماق، ولأن معناه يقترب دائما من معنى الأصالة"(الخيرداس جوليان غريماس ،ج.كورتيس وآخرون ،2014 ،ص09)

وبالغور في سيكولوجية الأعماق يقتضي منا وقفة عند البنية العميقة من خلال السّيمات sémes باعتبارها الوحدات الدّنيا للمعنى سواء أكانت مشتركة أو متباينة ومن خلال النص السّردي الممرضة الثائرة يمكننا تجلي سيمتين أو صورتين غالبتين وهما الاستقلال والاستعمار وهما اللتين يمكن أن ننظر إليهما من الناحية المعجمية، فالاستقلال يعني التحرر من سيطرة دولة على دولة بالقوة، أما الاستعمار من حيث الدلالة المعجمية فهو يعني: سيطرة دولة على دولة واستغلالها بالقوة.

فمن خلال الدلالة المعجمية يظهر لنا جليا أن هاتين الصورتين بينهما عناصر متشابهة وأخرى مختلفة، فمن جانب الاختلاف نجد أن الاستعمار هو عملية سلب للحرية الفردية والجماعية وسيطرة عليها، في حين أن الاستقلال هو كسب للحرية واسترجاع لها بعد فقد، ويتفقان من جانب القوة فكل ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة، فكما تم الاستعمار بالسيطرة والهيمنة والاستغلال بالقوة فإن تحقيق الاستقلال لا يتم إلا بالقوة .

ومن خلال الترتيب السّيمي للصورتين يتبين لنا ما يلي:

الاستقلال : حق مشروع/استرجاع للحرية/يتم بالقوة.

الاستعمار : أمر غير مشروع/سلب للحرية/يتم بالقوة.

ومن هنا يمكن تفريغ هذه الصور المعجمية في مجموعتين من السّيمات سيمات سياقية sémes classémes وسيمات نووية sémes nucléaire ومحاولة تصنيفها وفق نظائر تضمن تجانس الخطاب من ناحيته الدلالية والسيميائية، ومن خلال التركيب السيميائي للصورتين تبين لنا أن الاستقلال لا ينال إلا بالتغلب على الاستعمار، وأن الحرية تؤخذ ولا تعطى.

فالاستعمار والاستقلال يشكلان نوتان نوويتان ثابتتان تتحدان مع السياق النصي/الخطابي الذي جاءتا فيه، فالاستعمار ممثلا في الاستدمار الفرنسي الذي عاث في أرض الجزائر فساد بجنوده وضباطه ومهاجريه من فرنسا الذين يمثلون أصحاب رؤوس الأموال ممثلة في شخص "جرافيه"،أما صورة الاستقلال فهي ممثلة في النزعة الثورية عند

حماد (سي موسى) ومن كان معه من المقاتلين في الجبال وفي بنت جرافيه الفرنسي الأصل وفليري صوفي ، التي أبت إلا أن تشارك مع ثوار الثورة وتلتحق كممرضة مع المجاهدين .

فالمستوى الدلالي للمعنى يفرض علينا تصنيف هذه الصور إلى أصناف ومقولات دلالية عامة لأن توليد المعنى كما يرى غريماس ليس له معنى إلا إذا كان تغييرا للمعنى الأصلي فاقترح المربع السّيميائي لدراسة هذه العلائق ففكر في "تكوين علامة شكلية ترمي إلى جانب الدلالة التحليلية التأويلية إلى عقلنة المعنى، يربط الصريح بالضمني وخصوصا بتنظير وشكلنة وسائل خلق المعنى وتصوراته وإدماجه في هيكل منطق بقطع النظر عن النصوص الأدبية" (سمير المرزوقي وجميل شاكر ،د.س.ط،ص123)وفي هذا النطاق نحاول أن نطبق هذا المربع السّيميائي العلامي كمثال أصولي لشكلنة المعنى القائم على هاتين الصورتين.

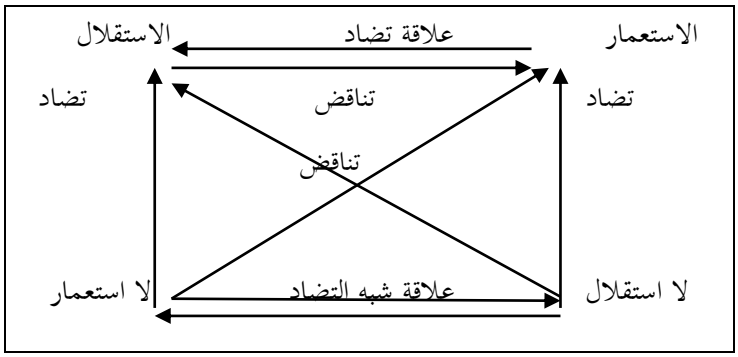

من خلال هذه البنية الدلالية القائمة على التقابل بين الصور يمكننا إبراز العلاقات القائمة بين أركان هذا المربع السيميائي.

أ/ العلاقات التدرجية: وهي علاقة التضاد القائمة بين حب المستعمر للاستعمار وحب الشعب الجزائري للاستقلال، ونفي القضية القائم بين لا استقلال ولا استعمار وهي ذاتها العلائق التي تنشأ في الشكل العكسي بين الاستقلال والاستعمار، ولا استعمار ولا استقلال.

ب/ العلاقات المقولاتية : وهي العلاقات الثلاثة الناتجة عن قاعدة النفي الذي يصيب كلا من طرفي التعارض .

- علاقة التناقض القائمة بين الاستعمار ولا استعمار، وبين استقلال ولا استقلال.
- علاقة التضاد بين الاستعمار والاستقلال. وشبه التضاد بين لا استقلال ولا استعمار.
- علاقة التناقض القائمة بين : لا استقلال واستعمار، ولا استعمار واستقلال.

ومن خلال هذه العلاقات الضدية والمتناقضة وشبه الضدية ندرك بأن الاستعمار ونقيضه الاستقلال يشكلان النواة الأساسية للنص/الخطاب الروائي المبني على علاقة الاتفاق والاختلاف التي تمكنه من توليد عدة دلالات ناتجة عن وحدات دلالية متولدة عن بنية واحدة ثابتة.

إذن تحريك المربع السيميائي يكون بتوجيه العلاقات في إطار سلاسل منطقية تنتج عنها إيديولوجية النص/الخطاب فتتغير المضامين والقيم حسب هذه العلاقات، فالمستعمر السّالب الحرية للمجتمع الجزائري والذي مارس عليه كل الحيل وكل أساليب الهيمنة "وما كاد حماد ينتهي من محاورته مع خليل حتى بدأ الركاب في النزول واصطفوا إلى جانب جدار الثكنة وبدئوا واحدا واحدا وشرعوا في تقديم أوراق هويتهم ورخص مرورهم لأحد الجنود وتقدموا بأمتعتهم من أجل التفتيش لجندي آخر وبعد الانتهاء من العملية التي قبض فيها على اثنين من الركاب الذين قيل عنهما أنهما مشبوه في أمرهما ...وقبل أن يصعدوا إلى الحافلة صاح فيهم رقيب عسكري مظلي قائلا: اسمعوا أيّها الأقزام وأيتها العاهرات، ويا من تركبون الحافلة لا أوصلكم الله بخير، اعلموا بأننا وبعد لحظات فقط سنواصل سيرنا نحو العاصمة وأننا نحن الجنود الفرنسيون المكلفون بحراستكم قد خصصنا لأداء هذه المهمة سيارة جيب باللاسلكي وأربعة سيارات أخرى معبئة بالجنود المدججين بالسلاح كل هذا من أجل إنقاذ حياتكم من أيدي آنساتي العزيزات الفلاقة" (صلاح الدين محمد ،1966 ،ص22) فهذا الاستغلال قابله الشعب الجزائري بالضد وكل من آمن بقضيته الوطنية وإصراره على استرجاع سيادته والتي استطاع أن يقنع بها الأخر من غير وطنه آمن بقضيته وناضل معه لأنه صاحب حق كما فعلت صوفي.

الخاتمة:

وأخيرا يمكن القول بأن هذه الدراسة قد أفضت بنا إلى صورة واضحة عن الدراسة الدلالية إن سطحيا أو عمقا للخطاب الروائي للكاتب محمد صلاح الدين الممرضة الثائرة ودراسة أشكاله السّردية ضمن المكون السّردي، والأشكال السّردية والأشكال الخطابية ضمن المكون الخطابي، ومن خلاله وصلنا إلى النتائج الآتية:

- عتبات النص من العنوان واسم المؤلف وكل الأيقونات التي تشكل الوحدة المعجمية لرواية الممرضة الثائرة تعكس تلك العلاقة القائمة بين الدال والمدلول فالعنوان بارز ومتميز أيقونيا ومقترن باسم الكاتب.
- التحليل الدلالي للخطاب الروائي من خلال الأشكال السردية، والأشكال الخطابية المشكلة للبرامج السردية وجدناها مغطاة بشبكة صورية شكلت مسارات صورية وشبكة مقولاتية جسدت الدور العاملي والدور العرضي الندي الذي قام به كل من المستعمر والمستعمر.

المربع العلامي وضح ذلك التضاد والتناقض والتضمن القائم بين الاستعمار والشعب الراغب في الاستقلال، هذه الرغبة المعبر عنها بعدة صيغ داخل النص، ومارسها كل من حماد وصوفي فالبطل حماد تغلب على حيلة وذكاء جيرافيه والتحق بالثورة بجبل بوكحيل، أما صوفي بنت الفرنسي آمنت بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره وأحبت حماد فرافقته كممرضة إلى حيث المقاومة والثورة التي حققت الاستقلال.

قائمة المراجع:

أ.المصادر :

1- صلاح الدين محمد ، الممرضة الثائرة،المطبعة العصرية، الدار البيضاء،المغرب، د.ت.ط.

ب.المراجع :

1- أمبرتو إيكو، آليات الكتابة السردية،تر:سعيد ينكراد، 2009، دار الحوار النشر والتوزيع، اللازقية، سورية،ط1.

2- الخيرداس جوليان غريماس،ج.كورتيس،وآخرون، المنهج السيميائي الخلفيات النظرية وآليات التطبيق،تر:عبد الحميد بورايو، 2014، دار التنوير، الجزائر، ط1.

3- رشيد بن مالك، السيميائيات السردية،2006، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1.

4- سمير المرزوقي، جميل شاكر،مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا، الدار التونسية للنشر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،د.ت.ط.

5- عبد الحق بالعابد، عتبات (ج.جينيت من النص إلى المناص) تقديم سعيد يقطين، 2008،منشورات الأختلاف، الجزائر العاصمة، ط1.

6- عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، تقديم: إدريس تقوري، 2000، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، د.ط.

7- عبد المجيد نوسي،التحليل السيميائي للخطاب الروائي البنيات الخطابية –التركيب-الدلالة-،2002،شركة النشر والتوزيع –المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط1.

8- نعيمة سعدية،التحليل السّيميائي والخطاب، 2016، عالم الكتاب الحديث، أربد، الأردن،ط1.

ج.المجلات:

1- حبيب بوهرور، العتبات وخطاب المتخيل في الرواية العربية المعاصرة، ديسمبر2015، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، الجزائر، المجلد الثامن، العدد الثاني.